ولقـرار أبويـه .

ويأتي القرار ، وهو في الفترة الثانية من حياته ، التي قضاها فـي الجندية ، وتخبره آعزي ، بهذا القرار في رسالة مؤثرة ببساطتهـا وسذاجة كاتبتها وبراءتها وكنا ننتظر من مقران ان يثور ، او يبدي تذمره وهو الشاب المتعلم ـ من تدخل والديه في أدق نقطة بحياته . الاانـه لايفعل ، ويفهمنا بسلوكه ان كان يحبذ الانفصال لانه لم يكن يحبها ، كما صرحت له بذلك آعزي نفسها ..

واخيرا يأتي موقف مقران ، فيودي بحياته ، على أثر رسالة آعـزي التي تكشف له فيها عن حبها ، وعن اخلاصها له ، وتصميمها على عـدم الزواج من غيره ، وعن بقاء خمسة اشهر على انجابها لاول واخر ولد منه، على اثر هذه الرسالة يتحرك ضمير مقران ، فآعزي لازالت تحبه ، وهي لم تعد زوجته ، بالرغم من ان سبب الطلاق تلاشى وهو عدم انجابهـا للاطفال . وتستثير هذه اللحظة ذاكرته ، فتعود به الى اول يوم مال فيه لاعزي ، ليحل لنا « لغز وصف » أطلقه عليها في اول القصة : « خطيبة المساء » ، ويسرد مقران هذه الذكرى في خمس صفحات ، يوضح فيها بساطة آعزي الحالمة ، وسذاجتها الشاعرية ، ومرحها الذي يشبه مـرح الاطفال في براءتهم وعدم تعقيدهم . ورجوع مقران بنا الى هذه الذكرى في هذه اللحظة بالذات ، يضع امامنا الصفات ، التي كانت خافية حتى على مقران نفسه ، والتي جذبت اهتمامه نحو آعزي . .

ويقرر مقران ان يذهب ، في احدى اجازاته ، الى تازغا لرؤية مطلقته التي اشتد شوقه لها . ويخرج من مدينة « مايو » مع رفاقه ، متجهـا الى قريته . لكن العواصف الثلجية تعترضهم ، يصبح الوصول الـى تازغا مستحيلا ، بسبب الانهيارات التي احدثها ذوبان الثلوج في الجبل. فيقررون الرجوع ، لكن مقران يصمم على الاستمرار في السير متحديـا الاخطار ، فيمنعه اصدقاؤه بالقوة . وتحاصرهم الانهيارات فتعجـز سيارتهم حتى على العودة الى « مايو » ، ويضطرون الى قضاء تلـك الليلة في السيارة . ويتسلل مقران تحت جنح الليل ، دون ان يشعـر به رفاقه ، ويقطع الطريق وسط اهوال الطبيعة الغاضبة ، فيناضل ، الا ان العواصف تهزمه ، فيموت متجمدا ، وهو يهذي : « انني زوجتك ...» « عبارة من رسالة آعزي له » .

ان مقران ـ هذه الشخصية الغريبة ـ يعيش طيلة حياته سلبيا ، وعندما يتخذ موقفا ايجابيا يصر عليه اصرارا لاواعيا الى ان يقضي عليه في النهاية . كان مقران حتى في موقفه هذا غامضا ، رغم خطورة الطريق وامكانه تأجيل ذهابه لقريته .

ان معمري حاول ان يقدم لنا ، من خلال شخصية مقـران ، نموذجـا للانسان الغامض القلق السلبي ، هذا الانسان الذي بلدت حسه الهزات كالحرب ، وبلبلت كيانه مرحلة الانتقال التي يجتازها الشاب الجزائـري المتعلم ، في مجتمع الفلاحين المتخلف . فهو يخرج من بيئة بسيطة ، الى اكتساب ثقافة في مدارس فرنسية ، وعلى مدرسين فرنسيين ، يلقنونه افكارا ومفاهيم متناقضة مع بيئته القروية ، بعيدة عنها كل البعـد . ويقف في حيرة عند مفترق الطرق لايدري ايها يسلك ، فيتبلد حسه ، ثم يقع فريسة للسلبية واللامبالاة . ونجد تشابها بين مواقف شخصيات معمري ، ومواقف شخصيات بعض الكتاب الوجوديين الفرنسيين . ونهاية مقران تذكرنا ، بنهاية شخصيات كامو التي تختارها بعناد ، قد يكـون فيه هلاكها ، الا ان هذا الاختيار في المنطق الوجودي ، اكتشاف لوجودها،

ـ التتمة على الصفحة ٧٥ ـ

المهزومون

ماضر لو تفتق المجهول عن ملاذ
يحضننا في دفئة المجبول من قلوب الامهات
يضمنا يومين في سبات
فنحن وافدون من جزائر الارق
احداقنا كرات فحم تدلهم في الغسق
وفي انسانها شؤبوب شوق يحترق
وينضح الدموع والعرق
يبحث ، ماينفك ، في غياهب الافق
عن ملجأ نريح فيه عمرنا القلق
فنحن ههنا يقيئنا الصقيع والضجر
مزقنا العذاب والسهـــر
نريد نستقر !... نريد نستقر !
ماضر يافيافي الفراغ والارق
ان تمنحي قبيل موعد الطوفان والغرق
لمدلجين ضائعين في الغسق
اغفاءة قصيرة في زورقين هاجعين
ننام فيهما يومين واحدين
فنحن ساهدون : « منذ » ؟..
لانستطيع ان نحدد الزمان
يانوم ! يانسيان !
لو تحضنا رؤوسنا التي تهدم الزمان
في كهوفها المنهارة ـ البنيان !

٢

حلقات دخان تتخلق عبر محال
لا شيء بها يفضي لمآل ..
سحب ، صمت ، وزوال
ووراء الابواب الفولاذيات الاقفال
صـوت مبحوح
أجهده اعياء الترحـال
صـوت مجـروح
مازال صداه الخافت ينبس خلف الجدران
مـازال ينـوح :
ـ ياروح الخلق القدسيه
مديني بخيـال
يشرب كلماتي وهج الشمس الشرقيه
أو حمى البعث الغيبيه
كي أجدل من هذي السدم العشوائيه
مزمورا من روحانية « بوذا » الهنديه
كأغانـي « طاغـور »
أمنحه قربانـا للنـور
عل الشمس تعـود الينـا
ويهـل النـور
... ويقهقه صوت الظلمة في الصمت :
ـ فات الفوت !..
وترجع اسوار الوحشة والموت
فات الفوات !..

الطيب الشريف